تداعيات جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي

م. م. علي سعدي عبد الزهرة جبير
Ali.saady1122@gmail.com
باحث من العراق

الملخص:

عرف العالم في أواخر عام 2019 فيروساً قاتلا اجتاح العالم عرف باسم كورونا الجديد، تسبب في أزمة اقتصادية عالمية، الامر الذي أدى التي توقف جميع النشاطات الاقتصادية، وكان العراق من تلك الدول، إذ تسبب الفيروس في إضعاف الاقتصاد العراقي نتيجة اعتماده على النفط، مما أدى إلى عجز مالي في خزينة الدولة، كما كان لهذا الفيروس آثار على المجتمع، إذ ارتفعت نسبة البطالة وأزداد الفقير فقراً، وتراجعت العملة المحلية مقابل العملة الأجنبية، وارتفعت أسعار بعض المواد الغذائية.

The Repercussions of The Corona Virus Pandemic on The Iraqi Economy

MSC. Ali Saadi Abdulzahra Jubeir
Researcher From Iraq

Abstract:

The world knew in late 2019 a fatal virus invaded the world known as the new Corona, which caused a global economic crisis, which led to the suspension of all economic activities, and Iraq was one of those countries, as the virus caused the collapse of the Iraqi economy due to its dependence on oil, which led to a financial deficit in the state treasury, as this virus had effects on society, as the unemployment rate increased and the poor became poorer, the local currency collapsed against the foreign currency, and the food commodity rose.

المقـدمــة:

اجتاح العالم في نهاية عام 2019م فيروس قاتل يطلق عليها كورونا الجديد، مما أدى إلى إصابة الملايين من سكان الكرة الأرضية ووفاة الألاف، واستمرت الاعداد بالازدياد من حيث الاصابات والوفيات، وتم تحديد ذلك الفيروس القاتل في مدينة ووهان الصينية، ومنذ تلك اللحظة تفشى بسرعة في ارجاء العالم مسبباً أزمة اقتصادية في جميع دول الكرة الأرضية، إذ توقفت الحركة التجارية بين الدول، وتوقف النشاط الاقتصادي وعلى كافة المهن، الأمر الذي أدى إلى زيادة البطالة بين السكان وارتفاع نسبة الفقر. والعراق أحدى تلك الدول، إذ أعلنت الحكومة العراقية فور تفشي الفيروس عن تشكيل خلية أزمة واتخاذ جملة من الإجراءات للحد من انتشار الفيروس ومنها فرض حظر للتجوال وتعطيل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وبالرغم من توصيات خلية الأزمة لتطويق الفيروس، إلا أنها لم تراع الآثار الاقتصادية وما تخلفه من كارثة انسانية، لاسيما أن الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي يعتمد على النفط بنسبة كبيرة، ونتيجة انخفاض أسعار النفط بسبب قلة الطلب العالمي عليه، وبالتالي فإن العراق يواجه أزمة مالية ستؤثر على جميع فئات المجتمع العراقي.

وتظهر أهمية البحث عبر كيفية تأثير جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي (الفقر والبطالة)، والسياسي (أزمات وتحديات).

ويهدف البحث إلى التعرف على ما هو فيروس كورونا؟ وما هي الاجراءات التي اتخذها الحكومة للحد من انتشار هذه الجائحة؟ وما هي آثار هذه الجائحة على الاقتصاد العراقي؟

وينطلق البحث من إشكالية مفادها أنه نتيجة اعتماد العراق على مورد واحد فقط واهمال الموارد الأخرى (الزراعة والصناعة)، فإن أي أزمة يتعرض لها العراق سيؤثر على الاقتصاد ومن ثم المجتمع برمته، وأن فرضية البحث تنطلق من أن جائحة فيروس كورنا قد آثرت على الاقتصاد العراقي وبشكل كبير.

وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي وذلك عبر كيف أثرت تلك الجائحة على الاقتصاد العراقي؟ وماهي القدرات الحكومية لمواجهتها؟

وتم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث، تناول المبحث الأول ما هو فيروس كورونا؟

أما المبحث الثاني تناول الإجراءات الحكومية العراقية في مواجهة جائحة فيروس كورونا، في حين تناول المبحث الثالث بنية الاقتصاد العراقي، أما المبحث الرابع تناول أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي.

المبحث الأول: ما هو فيروس كورونا

فيروس كورونا المستجد هو نوع من الفيروسات الجديدة من نوعها، يصيب الجهاز التنفسي للمرضى المصابين بالتهاب رئوي، وهو مجهول السبب إلى الآن، ظهر في مدينة (ووهان الصينية) في أواخر العام 2019م، وفي 8 شباط من عام 2020م أطلقت لجنة الصحة الوطنية في جمهورية الصين الشعبية تسمية (فيروس كورونا المستجد أو الجديد)على الالتهاب الرئوي الناجم عن الإصابة بفيروس كورونا، ثم غيرت في 22 شباط من نفس الشهر الاسم الانجليزي الرسمي للمرض الناجم عن فيروس كورونا الجديد إلى (COVID-19)، قبل أن تعتمد هذه التسمية رسمياً من قبل منظمة الصحة العالمية في 11 شباط/ فبراير، في حين بقي الاسم الصيني لهذا الفيروس بلا تغيير[1].

الاسم الإنجليزي للمرض مشتق كالتالي: (CO) هما أول حرفين من كلمة كورونا (CORONA)، أما حرفا (VI) فهما اشتقاق لأول حرفين من كلمة فيروس (Virus) وحرف (D) هو أول حرف من كلمة مرض بالإنجليزية (disease) وفقا لتقرير نشرته منظمة اليونيسف التابعة للأمم المتحدة، وأن «فيروس (كوفيد-19) هو فيروس جديد يرتبط بعائلة الفيروسات نفسها التي ينتمي إليها الفيروس الذي يتسبب بمرض المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سأرز) وبعض أنواع الزكام العادي[2].

وينتمي كل من فيروس كورونا المستجد وفيروسي (السارس SARS) و(الميرس MERS)، إلى عائلة فيروسات كورونا، وتلك الفيروسات تنتمي إلى فصيلة الفيروسات التاجية، رتبة الفيروسات العشية (Nidovirales)، أنه نوع من فيروس الحمض النووي الريبي (رنا RNA) المغلف أحادي السلسلة، موجب الاتجاه، موجود على نطاق واسع في الطبيعة، ويصيب الفقاريات فقط، ويرتبط بمجموعة متنوعة من الأمراض لدى البشر والحيوانات مثل أمراض الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والجهاز العصبي[3].

في 23 من كانون الأول لعام 2019م استطاع أحد الأطباء الشباب، دكتور (ونليانق Li Wenliang)، أن يتعرف على الفيروس، فقام على الفور بنشر تحذير صارم

(1) فونغ هوي، ترجمة: كلية المهن هانان الأعمال الدولية، دليل الوقاية من فيروس كورونا المستجد، المستقبل الرقمي، الصين، 2020، ص10.

(2) لماذا سمي فيروس كورونا بـ«كوفيد 19» وماذا يعني؟، العربية CNN، على الموقع الالكتروني https://arabic.cnn.com/health/article/2020/02/28/covid-19-corona-virus-meaning، 22/2/2020.

(3) تساو تشاو لونغ، دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فيروس كوفيد ـ 19 ، ترجمة ونشر الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2020، ص9.

لزملائه الأطباء على صفحته الخاصة، لكن سرعان ما تم استدعاؤه إلى مكتب الأمن العام ووجه له اتهام بأنه ينشر معلومات كاذبة تضر بالأمن القومي وطلب منه سحب الإعلان، وبعد أيام قليلة أصيب الدكتور نفسه بأعراض المرض فأخذ إلى المستشفى وقام للمرة الثانية بنشر صورته وهو على سرير الموت، ويتنفس عبر الاجهزة الصناعية، وكان ذلك هو المشهد الذي أرعب العالم كله، إذ أثار موجة الغضب بين الوسائط الاجتماعية في الصين مطالب الحكومة بالاعتذار، وهذا ما حدث لكن بعد وفاة الدكتور، وأصبحت أزمة فيروس كورونا كارثة عالمية[4].

(4) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، آثار جائحة كورونا في العراق وتداعياتها الأمنية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6 ـ 8 حزيران2020، ص369.

وأن انتشار الفيروس من منطقة جغرافية أكثر محدودية يعني تفشي الفيروس إلى الوباء، وإذا خرج الفيروس عن نطاق السيطرة، أي أن المرض بدء ينتشر بنشاط في بلد أو مجتمع بعينه، أو عدة مجتمعات معينة، وبسبب عدم السيطرة على الوباء تحول إلى جائحة، وهذا يعني نشر الفيروس في العديد من البلدان والقارات. ويستخدم في وصف المرض الذي يصيب العالم بأسره وهو أكبر وأعلى من الوباء، وهذه المرحلة التي أعلنت منظمة الصحة العالمية أن فيروس كورونا قد دخلها.

والجائحة تعني كل شيء لا يستطيع دفعه لو علم به، كالبرد والحر والمطر، وقيل هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة، والجائحة المصيبة المستأصلة التي تستأصل المال أو الناس، وهي ما يصيب الإنسان من مصيبة في ماله أو أمنه واستقراره فيسلط عليه الخوف، أو في صحته وعافيه فيسلط عليه المرض، أو في حياته عامة فيسلط عليه الحرب، إضافة إلى الزلازل والبراكين والفيضانات، ولا يمكن دفع هذه المصيبة إلا بإذن الله تعالى[5].

(5) عباس حسين فياض عبد الله، الجوائح العائمة في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص393.

وأن جائحة فايروس كورونا انتشرت في جميع دول العالم، إلا بعض الجزر صغيرة المساحة والسكان، وبلغ عدد المصابين حتى تاريخ يوم 2020/6/13 م (7,631,335)، وعدد الوفيات إلى(425,372)[6]، فضلاً عن إصابة أغلب سكان العالم بحالة من الرعب، وقد اجبرتهم السلطات المعنية في كل دولة على البقاء في منازلهم، ومنع التجوال إلا للضرورة القصوى عن طريق فرض الحجر الصحي المنزلي عليهم، مما ترتب على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي من توقف للصناعات وانهيار في أسواق المال العالمية وانخفاض في أسعار النفط، وفقدان الملايين الوظائف في القطاعيين العام والخاص. وبينما كانت الأزمة تتفاقم يوماً بعد يوم صار الأطباء والممرضون يتعرضون هم انفسهم للخطر في المستشفيات، ويرجع السبب في ذلك إلى نقص شديد في المعدات الطبية والاقنعة الواقية من المرض، وبينما كان العلماء والباحثون يعكفون في مختبراتهم ليلاً ونهاراً للتعرف

(6) جميع الاحصائيات واردة من جامعة جونز هوبكنزJHU بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في اوروبا ومنظمات الصحة المحلية.

على طبيعة الفيروس القاتل وكيفية مواجهته، كان السياسيون وقادة الدول يعلنون الحرب على عدو غير معروف لديهم، وبأسلحة غير متوفرة في مخازنهم، وبناءً على هذا فقد أصيب الكثير من الدول بالعجز التام عن أي فعل يوقف الكارثة، وانحصر دور السياسيين في إصدار التعليمات بمنع السفر والدعوة إلى التباعد الاجتماعي والبقاء في المنازل إلى مدة غير معلومة[7].

(7) التجاني عبدالقادر حامد وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز أبن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، الدوحة، 2020، ص63ـ64.

وأن جائحة كورونا التي تعرضت لها البشرية ليست أول الأوبئة التي تعرضت لها البشرية ولا آخرها، فقد سبق لمرض الطاعون والكوليرا أن قتلا الملايين من البشر في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، وكذلك فتكت الحصبة والملاريا والجدري بالملايين من سكان البشرية، وفي العصر الحديث انتشرت أمراض الإيدز وكورونا السارس والميرس وإيبولا، والآن يأتي صراع البشرية ضد مرض كورونا الجديد ليمتحن قدرة الإنسان على هزيمته دون اللجوء إلى نظرية المؤامرة التي تقول إن كورونا جزء من حرب بيولوجية سرية شنتها الولايات المتحدة ضد الصين، أو تقول إنها حرب اقتصادية طاحنة منذ سنوات بين شركات تصنيع الأدوية والعقاقير الطبية التي تنشر الفايروس ثم تخترع عقارا طبيا للعلاج منه، وبذلك ترتفع أرباح الشركات الطبية إلى المليارات من الدولارات[8].

(8) ماجد السامرائي، العراق.. السياسيون أخطر من كورونا، صحيفة العرب، لندن، العدد 11631، 2020/2/28

نستنتج من هذا المبحث هو أن فيروس كورونا هو نوع من الفيروسات الجديدة من نوعه يصيب الجهاز التنفسي للمرضى المصابين بالتهاب رئوي، ظهر في مدينة (ووهان الصينية) في أواخر العام 2019م، أطلق عليه اسم فيروس كورونا الجديد (COVID-19) من قبل منظمة الصحة العالمية، وأن هذا الفيروس لم يستثن أي بقعة جغرافية، إذ تعرضت جميع الدول على اختلاف مساحتها لهذا الفيروس، بالرغم من الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها حكومات هذه الدول.

المبحث الثاني: الإجراءات الحكومية العراقية في مواجهة جائحة فيروس كورونا

يعاني العراق كغيره من دول عالم الجنوب من نقص في المستشفيات والمستلزمات الطبية والكوادر الطبية، وتظهر بيانات منظمة الصحة العالمية أن الحكومة المركزية في العراق أنفقت خلال السنوات العشر الأخيرة مبلغا أقل بكثير على الرعاية الصحية للفرد من دول أفقر كثيرا، إذ بلغ نصيب الفرد من هذا الانفاق 161 دولارا في المتوسط بالمقارنة مع 304 دولارات في الأردن و649 دولارا في لبنان، ويوجد في العراق أقل من عشرة أطباء لكل عشرة آلاف مواطن بحسب أرقام منظمة الصحة

العالمية، وقال وزير الصحة الاسبق (علاء علوان) لرويترز في آب عام 2019م أن (الوضع الصحي في العراق تراجع بشكل كبير جدا خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، وأحد أسباب هذا التراجع هو عدم إعطاء أولوية من قبل الحكومات المتعاقبة للصحة في العراق)، واستقال (علاء علوان)- الذي سبق أن شغل مناصب عليا في منظمة الصحة العالمية- من منصبه الوزاري بعد أن أمضى عاما واحدا في المنصب مستشهدا بفساد لا يمكن التغلب عليه وتهديدات من معارضين لجهوده الإصلاحية[9].

(9) الصحة العالمية: حكومة العراق تنفق على الرعايا الصحية أقل من دول فقيرة كثيرا، روداو، على الموقع الالكتروني، https://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/030320208، 3/3/2020.

وبدأ الهلع في العراق من إمكانية دخول فايروس كورونا إلى البلاد، عندما ضرب سريعا إيران المجاورة، وفور الإعلان الإيراني عن تسجيل إصابات بالفايروس، شكلت العاصمة بغداد غرفة عمليات على أرفع المستويات، سرعان ما اجتمعت 3 مرات معلنة عن إجراءات سريعة من بينها حظر الرحلات الجوية بين العراق وإيران وإيقاف التبادل الحدودي بين الجانبين بشكل شامل ومؤقت، وقالت الحكومة إنها فرضت إجراءات صارمة لفحص الآلاف من الشاحنات التي تدخل العراق قادمة من إيران يوميا لنقل مختلف البضائع، وتعد إيران ثاني أكبر بلد مصدر للعراق، والعراق وجهة مقصودة من الزوار الإيرانيين الذين يتوافدون على مدار السنة إلى مدينتي النجف وكربلاء المقدستين وغيرها من الاماكن المقدسة، كما يتوجه العديد من العراقيين إلى إيران لأغراض السياحة والعلاج الطبي والدراسات الدينية، وأقفل العراق حدوده مع إيران التي تمتد على مسافة مئات الكيلومترات ومنع السفر منها وإليها[10].

(10) العراق وخطر تفشي وباء فيروس كورونا: التدابير والتداعيات والسيناريوهات، مركز الامارات للسياسات، على الموقع الالكتروني، https://epc.ae/ar/topic/iraq-and-risk-of-spread-of-coronavirus-pandemic-measures-consequences-and-scenarios 24/3/2020.

وأول إصابة حدثت في العراق يوم 24 شباط 2020م عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، واودع المصاب في الحجز الصحي في مستشفى الحكيم وحجر على تسعة أشخاص لامسوا المريض وكانوا برفقته وأعلنت المديرية العامة للتربية في محافظة النجف تعطيل الدوام الرسمي في مدارس المحافظة كافة حتى إشعار آخر، وبعد يوم 24 شباط توالت الإصابات بمرض فيورس كورونا إلى أن وصل عدد في 10حزيران من عام 2020م إلى (15414) حالة اصابة، وبلغ عدد الوفيات (426) حالة[11].

(11) وزارة الصحة العراقية، الموقف الوبائي اليومي للإصابات المسجلة لفيروس كورونا المستجد في العراق، على الموقع الالكتروني https://moh.gov.iq/index.php?name=News&file=article&sid=15455، 10/6/2020.

وبعد يوم 24 شباط من عام 2020م، أعلنت الحكومة العراقية دخول العراق فعليا في دائرة تفشي فيروس كورونا في أغلب المحافظات، وأعلن رئيس الوزراء السابق (عادل عبد المهدي) عن تشكيل خلية أزمة بموجب الأمر الديواني رقم 55 في شباط 2020م، تنحصر مهامها بمتابعة الحد من انتشار الفيروس، ومنع انتقاله قدر الإمكان

في المناطق الأخرى التي لم تسجل أي فيها، والعمل على تطبيق قرارات هذه الخلية في عموم مناطق العراق، وسرعان ما تطورت الحالة في أغلب المحافظات، فأعلنت خلية الأزمة جملة من الإجراءات بتأريخ 15 آذار 2020م، ومنها، فرض حظر تجوال في بغداد بشكل شامل ابتداء من 17 آذار ولغاية 23 من نفس الشهر، وتعطيل الدوام الرسمي في جميع الوزرات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ويستثنى من ذلك الاجهزة الأمنية والخدمية والصحية ووسائل الأعلام المصرح بعملهم، والدبلوماسيون والحركة التجارية للبضائع والمواد الغذائية، وقيام الجهات ذات العلاقة بإجراء حملات تعفير وتعقيم، ويخول المحافظين صلاحية فرض حظر التجوال في محافظاتهم، وتعليق الرحلات الجوية، وتقوم وزارة الاتصالات بزيادة سعات الانترنت وتخفيض الاسعار، والتأكيد على ايقاف التنقل بين المحافظات، والتأكيد على اتباع الإجراءات والتوجيهات والارشادات الطبية من قبل المواطنين بما في ذلك تجنب حضور التجمعات والاختلاط والبقاء في المنازل إلا في حالات الضرورة[12].

كما أقر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 27 آذار 2020 تشكيل لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية واعتبارها الجهة العليا المعنية بمكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد في العراق، برئاسة رئيس مجلس الـوزراء وعضوية عدد من الوزراء والأمين العام لمجلس الوزراء ومحافظ البنك المركزي العراقي وعدد آخر من المسؤولين، وخول مجلس الوزراء مسؤولية وضع السياسات والخطط العامة والإشراف على تنفيذها والتنسيق مع السلطات التشريعية والقضائية والأطراف الدولية ذات الصلة بمكافحة انتشار وباء فيروس كورونا المستجد، كما خول مجلس الوزراء خلية الأزمة مسؤولية الأشراف على الإجراءات الاحترازية وتقديم الخدمات الصحية للمواطنين على أن ترفع الخلية توصياتها إلى رئيس مجلس الوزراء لإقرارها[13].

فضلاً عن ذلك تشكلت خلية أزمة نيابية مكونة من (24) نائباً عراقياً بشأن فيروس كورونا لمراقبة ومتابعة الإجراءات الحكومية، وقد ناشدت خلية الأزمة مراجع الدين والوجهاء والنخب الأكاديمية للتدخل العاجل وإيقاف حركة المواطنين لأي ظرف كان، وقال رئيس الخلية وزير الصحة السابق (جعفر علاوي) (خلية الأزمة تشدد على الالتزام بالحظر الصحي) مؤكدا أن (وزارة الصحة مازالت تبذل جهوداً حثيثة في عمليات التعقيم والتطهير، ونقدر جهود الإعلام الوطني لتوعية المواطنين)[14].

وأدى رجال الدين في العراق دوراً في منع التجمعات واقامة صلاة الجمعة تجنباً

(12) عبدالرحمن نجم المشهداني، اقتصاد العراق بين أزمة كورونا وانهيار اسعار النفط العالمية وتأثيراتها على الموازنة الاتحادية2020، مركز صنه السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، 3 أبريل2020.

(13) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص372ـ273.

(14) نقلاً عن عبدالكريم عبدالجليل الوزان، دور الحكومة العراقية والإعلام العراقي في معالجة أزمة جائحة كورونا، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19ـ)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص407ـ408.

أدى رجال الدين في العراق دوراً في منع التجمعات واقامة صلاة الجمعة تجنباً لانتقال عدوى الفيروس

لانتقال عدوى الفيروس، إذ دعا المرجع الديني الاعلى في العراق السيد علي السيستاني (دام ظله) الى الالتزام بمنع التجمعات، ومنها المشاركة في صلاة الجماعة، حيث منعت مثل هذه التجمعات بهدف الحد من انتشار فيروس كورونا وأخذ المنع محمل الجد، وبين سماحته فيما يخص حكم تعمد نقل العدوى انه لا يجوز ذلك، فإن أدى إلى موت المنتقل إليه ولو بعد مدة من الزمن جاز لوليه القصاص من الناقل إذا كان ملتفتا في حينه إلى كونه موجباً للهلاك عادة، وأما لو كان جاهلاً بذلك، أو غافلا عنه آنذاك، فليس عليه سوى الدية والكفارة، وبالإضافة إلى ذلك حملة التبرعات التي قادتها المؤسسات الدينية والمدنية في توزيع المواد الغذائية للعوائل الفقيرة والمتضررة من حظر التجوال، ولاسيما تلك التي تعتمد على القوت اليومي، وأكدت منظمة الصحة العالمية أن العراق حقق معجزة طبية بتسجيل إصابات قليلة بفيروس كورونا بالرغم من قربه بإيران.

واتخذ العراق قرار رفع (حظر التجوال)[15] جزئياً نتيجة تراجع معدلات الإصابات اليومية، وأضاف وزير الصحة السابق (جعفر صادق علاوي) أن اللجنة اتخذت إجـراءات جيدة أثبتت نجاحها، مؤكدا أن الإصابات بكورونا في البلاد قليلة مقارنة بباقي دول العالم. ومن بين قرارات اللجنة أن يكون للمساجد والحسينيات والكنائس حرية القيام بما تراه مناسباً، كما طالب عضو مجلس النواب (سلام الشمري) بالإسراع بتخصيص الأموال اللازمة للمحافظات المتضررة من كورونا وقال في بيان صحافي: (إن الكثير من المحافظات باتت في وضع حرج لقلة الموارد المالية من التعامل مع هذا الوباء، وعلى الحكومة والجهات المعنية الإسراع بتخصيص كافة الإمكانيات المالية وغيرها لهذه المحافظات لمكافحة جائحة فيروس كورونا حصراً)[16].

ورغم أهمية توصيات خلية الأزمة لتطويق انتشار فيروس كورونا، إلا أنها لم تراع التداعيات الاقتصادية لحظر التجوال وما قد تخلفه من اضرار على طبقة العمال والكسبة والعوائل الفقيرة التي تحصل على قوتها بشكل يومي عبر العمل في مهن ذات طبيعة يومية كعمال البناء والباعة المتجولين وغيرها من المهن، مما أدى إلى عدم التزام هذه الفئة بقرارات خلية الأزمة، فضلاً عن عادات المجتمع العراقي في الزيارات والمناسبات، فأغلب هذه العادات استمرت مما زاد من صعوبة الأمر على خلية الأزمة في تنفيذ قراراتها، وبالرغم من استثناء خلية الأزمة المحال الغذائية وأسواق الخضار وغيرها مما يحتاجه المواطن حاجاته اليومية، غير أنها واجهت

(15) وحظر التجوال هو عبارة عن إجراءات تفرضها الدولة على مواطنيها قسرا، تتضمن إلزام المواطنين بالبقاء في منازلهم ومنعهم من الخروج سواء للعمل أو التسوق أو الترفيه أو لأي غرض آخر يستوجب الخروج من المنزل، وقد يفرض حظر التجوال على منطقة معينة، أو مدينة معينة، أو يفرض في وقت معين دون وقت آخر، مثل فرض حظر التجوال في الليل وإلغاءه في النهار وهو ما يعرف بـ (حظر التجوال الجزئي) وقد يفرض حظر التجوال على كل مواطني الدولة وكل مدنها ومناطقها وقد يشمل الأوقات كلها الليل والنهار معا على حد سواء وهذا ما يُعرف بـ (حظر التجوال الكلي)، وفي الغالب تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع أمنية وسياسية مثل حدوث أعمال شغب أو اندلاع ثورة وغيرها، وقد تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع طبيعية بسبب وقوع كارثة طبيعية مثل انفجار بركان أو اندلاع حرائق أو حدوث عواصف وفيضانات وغيرها، وقد تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع صحية مثل انتشار وباء أو مرض خطير يمكن أن يؤدي بحياة العشرات بل الآلاف من الناس في حال عدم فرض حظر للتجوال مثل انتشار وباء كورونا جميل عودة إبراهيم، الآثار الاقتصادية لفرض حظر التجوال، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/rights/22987، 25/4/2020.

(16) نقلاً عن عبدالكريم عبدالجليل الوزان، مصدر سبق ذكره، ص410.

اقبالاً ضعيفاً بسبب فرض حظر التجوال الذي تمدد أسبوعاً بعد آخر، وأن حظر التجوال المستمر سيضر بالاقتصاد العراقي من إجراء استمرار إغلاق الكثير من المراكز التجارية والمالية والمطاعم والمقاهي ودور السينما التي أخذت رواجاً كبيراً في بغداد، كما أنها توفر فرص عمل كثيرة لأغلب الشباب البغدادي[17].

(17) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص373.

وأن السلطات الحكومية هي التي تقرر فرض الحظر، ويمكن أن يكون سببا لحل الأزمة التي تواجهها، أو أن فرض الحظر سينتج عنه آثار أقل من عدم فرض الحظر، فعلى سبيل المثال لو لم تلجأ غالبية الدول إلى إجراءات فرض حظر التجوال، وسياسة التباعد الاجتماعي، ومنها تعطيل العمل وغلق المعامل والمصانع والمحال التجارية وتعطيل كامل الدورة الاقتصادية بسبب انتشار وباء كورونا لكانت النتائج وخيمة على سكان الأرض كلهم، وإن كانت أرقام الإصابة به وضحايا هذا الوباء مازالت مخيفة جدا رغم كل الإجراءات ومنها حظر التجوال، مع ذلك لا ينبغي الركون إلى حق الدولة بفرض حظر التجوال ودعوة الناس إلى المكوث في بيوتهم، لدرء الخطر الأكبر على كيان الدولة وحياة المواطنين مطلقا بل ينبغي أن تعمل الدولة على دعم إجراءات حظر التجوال بمجموعة من الإجراءات التي تضمن أولا تطبيق فرض التجوال، وثانيا تضمن تحقيق الحد الأدنى من متطلبات العيش المنزلي، نعم يمكن للمواطنين أن يتحملوا إجراءات فرض حظر التجوال إذا ما كان حظرا جزئيا من حيث المكان كأن يفرض في منطقة معينة، أو من حيث الوقت، كأن يفرض في الليل دون النهار، ولكن لا يمكن للمواطنين أن يتحملوا فرض حظر كلي يشمل مناطق واسعة من البلاد ليلا ونهارا، لأن مثل هذا الحظر ينتهك حقا أساسيا من حقوق الإنسان وهو الحق الاقتصادي وحق العيش بكرامة[18].

لا يمكن للمواطنين أن يتحملوا فرض حظر كلي يشمل مناطق واسعة من البلاد ليلا ونهارا

(18) جميل عودة إبراهيم، مصدر سبق ذكره.

وأن الإجراءات اللازمة التي اتخذتها خلية الأزمة، ومنها حظر التجول في مختلف أنحاء البلاد الساري منذ منتصف مارس/ آذار مثلما هو الحال في دول كثيرة، أدت إلى توقف متاجر عن العمل وفرضت على من يعيلون أسرهم البقاء دون عمل في البيوت الأمر الذي أضر بشدة بالقطاعات الضعيفة من السكان، وقال (عبد الزهرة الهنداوي) المتحدث باسم وزارة التخطيط العراقية إن (20%) من السكان يعيشون في فقر، وإن من المتوقع أن ترتفع هذه النسبة إلى ما يقارب (30%) هذا العام بسبب تعطل الناس عن العمل بفعل الأزمة، وأعلنت الحكومة توزيع إعانة شهرية قدرها (25) دولارا للفرد الواحد للأسر التي لا تحصل على أجور من الدولة، وقال

(الهنداوي) إن (13) مليون شخص- أي حوالي ثلث العراقيين- تقدموا بطلبات للحصول على هذه الإعانة، وقد رفعت السلطات لاحقا حظر التجوال أثناء النهار لكنها أعلنت غرامات جديدة على من يخالفونه أثناء الليل، وتقول منظمة الصحة العالمية إن على العراق مواصلة العمل بالقيود السارية[19].

(19) سها جادو، كورونا تدفع بعراقيين أنهكهم الصراع في براثن الفقر، رويترز، على الموقع الالكتروني https:// ara.reuters.com/article/idARAKB-N22I1FO، 6/5/2020.

طبقاً لما تقدم نستنتج أن العراق يعاني من نقص في المستشفيات والمستلزمات الطبية والكوادر الطبية، ويرجع ذلك إلى الفساد المستشري في جميع مفاصل الدولة، وأول أصابه لفيروس كورونا حدثت في العراق في يوم 24 شباط عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، ونتيجة لذلك شكلت الحكومة خلية الأزمة ثم تشكيل لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية واعتبارها الجهة العليا المعنية بمكافحة انتشار فيروس كورونا، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحالات الإصابة ترتفع، بالرغم من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة من فرض حظر التجوال، وتعطيل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وما إلى ذلك.

المبحث الثالث: بنية الاقتصاد العراقي

منذ خمسينيات القرن الماضي تركز الفخ الريعي ومظاهره تدريجياً في العراق، ولاسيما استخدام عوائد النفط في الثواب، والعنف في العقاب في كافة العهود وبدرجات مختلفة، وعند تغيير النظام في عام 2003م كانت المظاهر الريعية قد وصلت شوطاً متقدماً بالرغم من وجود مؤسسات دولة قائم على الفصل والتعاون بين السلطات، وتكررت صورة الدولة الريعية في استخدام الريع النفطي في كسب الولاء عبر التوسع في الاستخدام العام من جهة، وزيادة الرواتب والعطايا السياسية من جهة أخرى، وفي كلا الوضعين تحققت النتيجة نفسها بوجود مناخ اقتصادي غائم[20].

(20) علي مرزا، العراق: الواقع والآفاق الاقتصادية، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار ـ 1 نيسان2013، ص11.

ورغم تبني العراق التحول الاقتصادي نحو اقتصاد السوق بدلاً من الاقتصاد المخطط عام 2003، والاتجاه نحو تنويع مصادره كما متاح في الدستور العراقي 2005، إلا إن هذا التحول لم يكن عملية مدروسة ومخططا لها بل كان عملية عشوائية بامتياز تسببت وبشكل جلي في تعثر التحول الاقتصادي، مما يعني إن العراق لا يزال يخضع للإدارة المركزية في أغلب المجالات ومنها الاقتصاد، ليس هذا فحسب بل يمكن القول إن العراق الآن يعيش حالة الفوضى الاقتصادية نظراً لعدم وجود رؤية واضحة لدى الإدارة السياسية فيما يخص الشأن الاقتصادي من حيث الإدارة،

إدارة الاقتصاد، أي هل هي إدارة مركزية أم لا مركزية أم أدارة وسطية تعتمد الوظيفة الإشراقية والتدخل عند الأوقات الحرجة؟ سيستمر الوضع الاقتصادي على ما هو عليه، أي الاعتماد على النفط في تمويل الاستيراد والاستهلاك وعلى الدولة في التوظيف والبطالة، وبهذا الوضع سيظل الاقتصاد العراقي يعاني من الفوضى الاقتصادية، وبالتالي عدم الاستقرار السياسي[21].

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت في العراق عوامل أخرى زادت من عدم اليقين مثل تخلخل الوضع الأمني وتعدد مراكز القرار، والتي تمثلت بتواضع جهود التنسيق للإدارة الاقتصادية في الحكومة المركزية فيما بينها وبين الإقليم والمحافظات، وغياب آلية لفض النزاع في مجال السياسة والاستثمار النفطي بين المركز والإقليم/ المحافظات، وعدم وجود منظور مستقبلي لمسار الاقتصاد العراقي بالرغم من وجود خطة للتنمية الوطنية، وتمحور السياسات حول الميزانية السنوية والتي تمثل تسويات سياسية أكثر منها منظورا مستقبليا واضحاً، وانتشار الفساد في الجهاز الاداري، وظهور طبقة منتفعة من السياسيين ورجال الأعمال تعيش على النفقات الميزانية والمقاولات المتفرعة عنها[22].

وبهذا فأن الاقتصاد العراقي أصبح معتمدا اعتمادا شبه كلي على عوائد النفط، إذ تشكل نسبة (90%) من الناتج المحلي الإجمالي، وبدونها تتوقف أو تشل حركة النشاط الاقتصادي في البلاد، وبالتالي تكون الحكومة وفق مبدأ الدولة الريعية هي المستخدم الأكبر والمستثمر والمتحكم بمصير الاقتصاد والمجتمع، وتترافق مع ظاهرة الحالة الريعية ظاهرة (المرض الهولندي)[23]، وخلاصتها أن ارتفاع عائدات الدولة الريعية سيؤدي في غياب سياسات مالية مناسبة، وإلى ارتفاع سعر صرف عملتها الوطنية وهذا ما يؤدي إلى ارتفاع صادراتها غير النفطية في السوق الدولية، وبالتالي سيؤثر الأمر على تنافسيتها، الأمر الذي يفضي إلى تكسيد بضائعها المصدرة، وبذلك يتعثر نموها الصناعي غير النفطي[24].

وأن خاصية الاقتصاد العراقي المتمثلة بهيمنة القطاع النفطي لم تنعكس بنتائج إيجابية وتغيرات هيكلية واضحة على مسيرة نمو هذا الاقتصاد بكل قطاعاته الانتاجية والخدمية، لذلك ظل الاقتصاد وعلى مختلف المراحل الزمنية يعاني من مشاكل وأزمات اقتصادية، وأن الاستقرار والتوازن أصبح ظاهرة استثنائية، وأن الموارد المالية التي حصل عليها العراق بعد عام 2003م قد نمت بمعدلات متزايدة وحققت طفرات كبيرة مقارنة بالفترات السابقة، إلا أنها لم تحقق نتائج إيجابية وتحولات حيوية في هيكلية الناتج المحلي الإجمالي، ويرجع السبب إلى غياب

(21) حامد عبدالحسين الجبوري، إدارة اقتصاد العراق بين المركزية واللامركزية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/economicarticles/22974، 23/4/2020.

(22) علي مرزا، مصدر سبق ذكره، ص21ـ22.

(23) أن مصطلح المرض الهولندي يعبر عن الآثار غير المرغوب بها على القطاعات الإنتاجية وخصوصا القطاع الصناعي نتيجة اكتشاف الموارد الطبيعية، وسمي بالمرض الهولندي نسبة إلى حالة من الكسل والتراخي الوظيفي التي أصابت الشعب الهولندي في النصف الأول من القرن الماضي (1900ـ1950م) بعد اكتشاف النفط والغاز في بحر الشمال، حيث هجع للترف والراحة واستلطف الإنفاق الاستهلاكي البذخي، وبعد أن أفاق الشعب على حقيقة نضوب الآبار التي استنزفها باستهلاك غير المنتج فسمي ذلك بالمرض الهولندي، ونتيجة ارتفاع حصيلة الموارد الطبيعية ارتفعت قيمة العملة المحلية في هولندا، مما جعل السلع الهولندية المنتجة غالية الثمن، في حين أصبحت السلع المستوردة رخيصة في نظر المواطن الهولندي مما قلل من القدرة التنافسية للمنتجات الهولندية في الأسواق العالمية، وبالتالي انعكس سلبا على القطاع الخارجي، والمحصلة النهائية لهذا الوضع تردي النشاط الإنتاجي وخاصة القطاع الصناعي، وفي ظل هذا العزوف عن الإنتاج وهذا الاضمحلال للنشاط الصناعي تنخفض فرص العمل وترتفع معدلات البطالة، وقد حذر الاقتصاديون من الاعتماد فقط على الموارد الطبيعية لأنه يخلق أوطانا غنية ومواطنين فقراء وهذ هو جوهر الإصابة بالمرض الهولندي، مايح شبيب الشمري، تشخيص المرض الهولندي ومقومات إصلاح الاقتصاد الريعي في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الكوفة، النجف، العدد15، 2010، ص36ـ37.

(24) كامل العضاض، هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية، عوائق أمام تحقيق تنمية مستدامة، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار1ـنيسان2013، ص6.

التخطيط الاستراتيجي وعدم استثمارها بالشكل الأمثل، كما أن هذه الموارد المالية لم تعالج المشاكل المستديمة مثل مشكلة الفقر والبطالة والسكن، وتردي الخدمات الأساسية بالشكل الذي يتوازن وحجم انفاق تلك الموارد[25].

(25) حسين عجلان حسن، تنويع قدرات الاقتصاد العراقي في ظل الهيمنة الريعية الواقع الراهن والحسابات المستقبلية، مجلة المنصور، كلية المنصور الجامعة، بغداد، العدد27، 2017، ص3.

أن التشوهات في هيكلية القطاعات الاقتصادية تظهر بشكل واضح عبر انخفاض نسبة إسهام القطاعات السلعية الإنتاجية الصناعية والزراعية في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، إذ أن قطاع الصناعة انخفضت نسبة مساهمته من (4,2%) في عام 2002م إلى (0,4%) عام 2012م، إذ تراجع نمو هذا القطاع بعد هذا العام بشكل واضح وتوقفت أغلب منشاته الإنتاجية بسبب الفوضى الاقتصادية التي شهدها الاقتصاد العراقي بعد هذه الفترة، وعمليات التخريب التي شملت أغلب شركات القطاع الصناعي، فضلاً عن ذلك أن الدولة لم تستثمر العوائد المالية الكبيرة التي حصلت عليها بعد عام 2003م من العوائد النفطية في عمليات تأهيل هذه الشركات وإعادة تشغيلها، وكذلك عدم وجود الحواجز والرسوم الجمركية وأجهزة التنفيس والسيطرة النوعية، وبالتالي أغرقت السوق العراقية بملايين المنتجات المستوردة زهيدة الثمن في الوقت الذي عجزت عن منافستها المنتجات الوطنية، نظراً لشحتها في السوق المحلية وبساطة نوعياتها ورداءتها[26].

أغرقت السوق العراقية بملايين المنتجات المستوردة زهيدة الثمن في الوقت الذي عجزت عن منافستها المنتجات الوطنية

(26) ينظر إلى كل من حسين عجلان حسن، مصدر سبق ذكره، ص4، وكذلك لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، ريعية الاقتصاد العراقي وضرورات تنويع مصادر الدخل بعد عام 2003، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد108، 2016، ص17.

أما القطاع الزراعي، فهو الأخر انخفضت نسبة مساهمته من (8,6%) في عام 2002م إلى (2,6%) عام 2011م، وأصبح العرض المحلي من المنتجات الزراعية لا يسد الطلب المتزايد عليها، في الوقت الذي تزخر فيه ارض العراق بإمكانيات مادية وبشرية تؤهلها لتحقيق مراتب متقدمة على صعيد الانتاج، إذ يمتلك العراق مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، فضلاً عن الموارد المالية الضخمة التي حباه الله تعالى بها، إلى جانب مزايا أخرى تؤهله للعب دور مهم على صعيد الانتاج الزراعي، وبذلك يبدو أن هنالك علاقة عكسية بين تطور قطاع النفط وبين تطور القطاعات الاقتصادية ولاسيما الصناعة والزراعة، إذ أن قطاع النفط ينمو بمعدلات موجبة وعالية والقطاعات الانتاجية تنمو بمعدلات سالبة[27].

(27) ينظر إلى كل من حسين عجلان حسن، مصدر سبق ذكره، ص4، وكذلك لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، مصدر سبق ذكره، ص16ـ17.

أما القطاع الخاص في العراق فأنه يعاني من التذبذب والتردي والركود وعدم وضوح الرؤيا واستقرار الحال، والسبب يرجع في ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي وانعدام البيئة الصحية والاستثمارية، كما يعاني القطاع من كوابح التقدم والتطور واهمها شمولية التخطيط وتبعية كل مفاصل الاقتصاد للقطاع العام، مضافا اليه حجم المشاريع وعدد الأيدي العاملة فيه، واستخدام المواد الاولية الرديئة رخيصة

الثمن وإلى لجوء هذا القطاع للميادين ذات المردود الربحي والسريع، والهروب ساعة المواجهة، وكذلك ضعف مصادر التمويل وعدم القدرة على المنافسة مع المنتوج الاجنبي، وإلى عدم ملاءمة السياسات المالية والاقتصادية المنتهجة من قبل الدولة، فضلاً عن المعاناة من تقلبات الوضع الاقتصادي الدولي أبان الازمات وانعدام التواصل وفقدان الثقة مع المؤسسات الدولية ذات العلاقة، كل هذه العوامل أوصلت القطاع الخاص العراقي إلى واقع أقرب إلى العجز[28].

(28) كريم عبيس العزاوي، واقع القطاع الخاص العراقي وسبل النهوض به، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، جامعة بابل، بابل، العدد1، 2009، ص277.

وأن تراجع القطاع الخاص في العراق يرجع السبب بعدم التوافق بين القطاعين العام والخاص بحسب ما يؤكد الخبير الاقتصادي (عبد الحسن الشمري) الذي يرى أن الاول تغلب على الثاني وهيمن عليه وبات مسؤولا عنه في ظل غياب أي رؤية اقتصادية، وأن هذه الحالة مستمرة منذ عام 2003 الأمر الذي أدى الى تراجع القطاع الخاص ثم اختفاءه تقريبا بفعل إغلاق المعامل والمصانع والورش التي كانت تنتج وتوفر السلع والخدمات للمواطنين والسوق المحلية، ومن جهة أخرى إذ حتى لو استطاع القطاع الخاص في المدى المنظور من استعادة بعض نشاطه، إلا انه سيبقى رهين القطاع العام فجميع الشركات أو المصانع الخاصة تنتج سلعها للداخل العراقي والتي تعتمد على القدرة الشرائية للمواطنين الذين تعد طبقة الموظفين العموميين فيه الأعلى دخلاً والاكثر استقراراً مالياً، وبالتالي فإن أي حدث مفاجئ في الاقتصاد الحكومي سيؤدي الى شلل تام في القطاع الخاص[29].

(29) أحمد الدباغ، العراق.. كيف تدهور القطاع الخاص وهل يمكن إنعاشه؟، نون بوست، على الموقع الالكتروني https://www.noonpost.com/content/35249، 15/12/2019.

وأسباب عدة تعزى الى تراجع القطاع الخاص في العراق ولجوء الشباب للبحث عن وظائف حكومية تؤمن لهم دخلا ثابتا، إذ ذكر تقرير لـ (معهد التمويل الدولي) في واشنطن أن انتشار الفساد في العراق والبيروقراطية الادارية والبيئة الاستثمارية الفقيرة أدت إلى تدهور اقتصاد العراق ومنع نمو القطاع الخاص، واستناداً الى التقرير الدولي فإن طريق العراق نحو تعافي اقتصادي واضح قد يشهد عراقيل أكثر بسبب عدم الاستقرار السياسي الذي ما يزال يشهده العراق، فضلاً عن ضعف كفاءة وقدرة مؤسساته الحكومية، ويشير معهد التمويل الدولي إلى أن هناك ما يقرب من (160) مؤسسة حكومية غير نفطية تذهب نسبة كبيرة من ميزانية البلاد رواتباً لموظفيها دون تقديمهم أي شيء ذي فاعلية في تعزيز الاقتصاد، فضلا عن أن البلاد لا تزال تعتبر من الدول الريعية التي تذهب جل وارداتها رواتبا للموظفين العموميين ولجيوب الفاسدين[30].

(30) أحمد الدباغ، مصدر سبق ذكره.

نستنتج من هذا المبحث أن العراق دولة ريعية يعتمد على النفط كمورد أساس في تمويل نفقاته العامة، واهمال القطاعات الأخرى (كالزراعة والصناعة)، وترجع تلك

الفوضى الاقتصادية نظراً لعدم وجود رؤية واضحة لدى الإدارة السياسية فيما يخص الشأن الاقتصادي، إلى جانب ذلك اهمال القطاع الخاص الذي يعاني من التذبذب والتردي والركود وعدم وضوح الرؤيا والاستقرار.

المبحث الرابع: أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي

تشير توقعات صندوق النقد الدولي الى أن جائحة فيروس كورونا كوفيد 19 تسببت بانكماش في الاقتصاد العالمي هو الأكبر منذ الكساد الكبير عام 1929، وسيدفع وضع الاقتصاد العالمي ملايين القوى العاملة على مستوى العالم الى الشارع، كما انه دفع أسعار النفط العالمية الى الانهيار، وأنها ستواجه المزيد من التدهور قريبا، وأكثر التنبؤات تفاؤلا لا تتوقع تجاوز أسعار النفط حاجز (الـ 45$) خلال السنتين القادمتين، هذه المؤشرات وغيرها تمثل صدمة غير متوقعة للعراق، لأنه يعتمد بنسبة تتجاوز (الـ90%) على صادرات نفطه في رفد موازنته العامة السنوية، وكانت حكومته تعول على ارتفاع الأسعار في تهدئة الشارع الشعبي المنتفض، من خلال امتصاص البطالة وتفعيل البيئة الاستثمارية ومعالجة مشاكل البطالة والفقر وغيرها[31].

(31) خالد عليوي العرداوي، كوفيد19 هل يدفع العراق نحو الهاوية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/author-sarticles/22911، 18/4/2020.

وبعد أن كان الاقتصاد العراقي يعاني من ضعف كبير وخلل واضح من حيث الإدارة والتنظيم فأنه تعرض إلى ضربة موجعة حاله حال العديد من اقتصادات دول العالم بفعل جائحة فيروس كورونا، وكان لذلك الأمر اثر واضح على الاقتصاد العراقي بكافة مفاصله، فقد تسببت جائحة كورونا في توقف المعامل والمصانع وتوقف حركة القطارات والطائرات ليس على مستوى العراق فحسب بل في دول العالم اجمع، مما تسبب بقلة الطلب العالمي على النفط الأمر الذي أدى إلى انهيار أسعاره وتراجعها إلى مستويات متدنية بعد أن كانت قد وصلت في نهاية عام 2019 إلى (65$) للبرميل قبل انتشار الوباء، ليصل سعر نفط العراق إلى ما يقارب (26%) للبرميل في اذار 2020م ليواجه العراق مشكلة مالية كبيرة[32].

(32) عماد جاسم حسن، أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص460ـ461.

ومنذ بداية عام 2020م أخذت أسعار النفط تتأثر بشكل سلبي بانتشار الوباء نتيجة قلة الطلب العالمي على النفط ولاسيما الدول المشترية الصين والتي كانت تستقبل كميات كبيرة من النفط العراقي، إذ أنها كانت مستهلكا رئيسا للنفط العراقي بحيث أن أغلب صادرات النفط العراقي قد ذهبت إلى الصين وبنسبة (34%)، تلتها الهند بنسبة (28%)، وأن انتشار كورونا أدى إلى انخفاض الطلب العالمي على النفط بواقع عشرة ملايين برميل يوميا، الامر الذي تسبب بازدياد

المعروض من النفط مقابل قلة الطلب ونتج عن ذلك انخفاض أسعار النفط، إذ أن انخفاض سعر البرميل الواحد من النفط دولارا واحدا يعني خسارة العراق ما يقارب مليار دولار سنويا، وفي ذلك صرح مستشار رئيس الوزراء العراقي للشؤون الاقتصادية (مظهر محمد صالح) أن خسائر العراق من انخفاض أسعار النفط وصلت ما بين (50-75) مليون دولار في اليوم الواحد، وفي السياق ذاته توقع مصرف ستاندرد أند جارتر الدولي أن يشهد العراق انكماشا بنحو(7,5%) وهذا يعني أن الاقتصاد العراقي سيعاني ركودا كبيرا خلال المرحلة المقبلة، إذ سوف تسبب قلة الواردات بعجز كبير في ميزانية الدولة والتي تلقي بضلالها على جميع القطاعات[33].

(33) عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص461.

ويقترن العجز المالي في العراق دائما بعجز ميزان المدفوعات، ومما يؤسف له أن يكتفي كبار المسؤولين والخبراء بوصف المشكلة في عدم كفاية إيرادات صادرات النفط للإنفاق الحكومي، بل صار من المألوف مقارنة قيمة مبيعات النفط بالرواتب، مع إغفال عجيب لعجز ميزان المدفوعات الخارجية، بينما يعلم الجميع ان إيرادات النفط هي المصدر الوحيد تقريبا، لتمويل مستوردات العراق الحكومية والخاصة من السلع والخدمات والمدفوعات الخارجية الأخرى[34].

(34) أحمد بريهي علي، عجز الموازنة الحكومية وتمويلها في العراق: عرض مبسط، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/economicarticles/23223، 25/5/2020.

ومن الآثار التي تركها انتشار وباء كورونا على الواقع الاقتصادي العراقي كان بفعل القرارات الحكومية، إذ تسبب الحظر الشامل بارتفاع أسعار المواد الغذائية نتيجة لتوقف حركة التجارة مع دول العالم، ووفقا للجهاز المركزي للإحصاء فإن استيراد العراق من السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ما قيمته (12) مليار دولار سنويا من أجمالي استيراده الذي يتجاوز (40) مليار دولار، وتوقف حركة التجارة بإغلاق الحدود والمنافذ البحرية وتوقف حركة الطيران، في الوقت الذي لا تمتلك فيه القطاعات الإنتاجية في العراق القدرة على توفير تلك البضائع المستوردة، الامر الذي تسبب بحصول مشكلة أدت إلى قلة المواد المعروضة في السوق نتيجة لاحتكار بعض التجار واستغلالهم لتلك الأوضاع ورفع الأسعار مما أدى إلى أن يكون الامن الغذائي مهددا في البلاد، إذ أن المخزون السلعي ينفذ بمرور الوقت وأن (75%) من الاستهلاك العام هو من السلع المستوردة، وذلك لكون الاقتصاد العراقي اقتصاداً هشاً وما زال ضعيفاً وغير قادر على تلبية الطلب المحلي، وبالتالي فإن الأمن الغذائي العراقي اصبح مهدداً لأنه يواجه ازمتين كبيرتين في آن واحد، الأولى انهيار اسعار النفط التي يعد المصدر الرئيس للدخل العراقي مما يعني

إن استيراد العراق من السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ما قيمته (12) مليار دولار سنويا

وجود أزمة مالية، والثانية انتشار وباء كورونا الذي قطع المواصلات بين دول العالم والذي اثر على توفير السلع الغذائية[35].

ومن آثار جائحة كورونا على الاقتصاد العراقي هو انخفاض قيمة الدينار العراقي أمام الدولار، إذ انخفض سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الامريكي الذي وصل إلى (1270) دينار مقابل الدولار بعد أن كان (1200) قبل انتشار الوباء، وإلى جانب ارتفاع الأسعار فقد تسبب الحظر الشامل في ضرر كبير للقطاع الخاص، ولاسيما أصحاب الاجر اليومي والدخل المحدود وأصحاب المهن الحرة من أمثال (سائقي التاكسي، العاملين بالمطاعم... الخ)، إذ أشارت الإحصاءات الحكومية إلى تأثر ما يقارب عشرة ملايين نسمة، والذين يصنفون ضمن طبقة الفقراء، كما كان لانتشار وباء كورونا تأثير واضح في توقف حركة السياحة ولاسيما الدينية منها والتي كانت تشكل مورداً للعديد من العراقيين وبخاصة العاملين في الفنادق وأصحاب المحال التجارية[36].

واستمراراً في هذا التراجع من العائدات المالية، فأن الأثر السلبي يتجاوز المتغيرات الاقتصادية الكلية ليصل إلى المالية، منها عجز حقيقي في الموازنة العامة وتراجع في الاحتياطيات الدولية في محاولة لتمويل عجز الموازنة العامة والذي يقود إلى الاقتراض (داخلي وخارجي) إلى جانب ضعف النفقات العامة، كل هذا يؤدي إلى ضعف الاستدامة المالية، وفي ظل الانكماش الاقتصادي وضغط الانفاق العام فإن ذلك سيقود إلى زيادة معدلات البطالة والفقر على حد سواء في العراق[37].

ومن ناحية القطاع الصحي بما لم يكن العراق الأفضل في التعاطي مع فيروس كورونا إلا إنه من بين الدول الأقل تأثراً مقارنة بالدول الأخرى كالصين وإيران وكوريا الجنوبية وإيطاليا وأمريكا والسعودية وتركيا وغيرها، وعلى الرغم من تواضع إمكانات القطاع الطبي والصحي إلا إن الحق يقال، فقد استنفر هذا القطاع كل ما بوسعه من طاقات لمواجهة هذا الفيروس ومع هذا الاستنفار فقد كان الأثر الأكبر في تقليص حجم الضرر يعود لحظر التجوال الذي فرضته خلية الأزمة وليس لقوة القطاع لان الأخير معروف لدى الجميع كم يعاني من الضعف والإهمال قبل وقوع الأزمة فكيف سيكون الحال في ظل انعدام حظر التجوال، وإن ضعف القطاع الطبي والصحي المعهود الذي خسر العراق بسببه الكثير من العملات الصعبة، إضافة للواقع الاقتصادي المتردي بسبب الاعتماد المفرط على النفط، بالتزامن مع

كان لانتشار وباء كورونا تأثير واضح في توقف حركة السياحة ولاسيما الدينية منها

(35) ينظر إلى كل من عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص461ـ462، وكذلك علي عبد الحسين سعيد نصر الله، تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق عام 2020، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص449.

(36) عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص463.

(37) عمرو هاشم محمد، الاقتصاد العراقي بين جائحتين: والتداعيات الاقتصادية لفايروس كورونا المستجد، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص481.

الفشل السياسي المزمن الذي يعانيه النظام السياسي، هذه العوامل مجتمعةً أسهمت في رسم صورة تشاؤمية خلفها فيروس كورونا على الواقع العراقي[38].

(38) حامد عبدالحسين الجبوري، كورونا في العراق: من التفاؤل إلى التشاؤم، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarticles/23015، 27/4/2020.

وبهذا فإن جائحة كورونا تركت بصمتها على كل نواحي الحياة، فدول بأكملها شلت وحدود أغلقت واقتصاديات عالمية تباطأت ومدارس أقفلت، ويقول احد المؤرخين الخبير الديمغرافي (باتر يس بور دولية) عن الوباء أنه: (يهدد الروابط الاجتماعية ويطلق العنان بشكل خفي من حرب أهلية يكون فيها كل واحد حذراً من جاره.. انتشار الأوبئة يشكل دوماً امتحاناً للمجتمعات البشرية)، ومن ناحية أخرى وعلى صعيد السلوك أدت جائحة كورونا إلى خلق حد أدنى من المسافة بين الأشخاص تفوق في المجتمعات الغربية ما هي عليه في المجتمعات الأخرى[39].

(39) عبد الحسين سعيد نصر الله، مصدر سبق ذكره، ص450.

طبقاً لما تقدم نستنتج أن جائحة فيروس كورونا قد أثرت على الاقتصاد العراقي، لكونه دولة ريعية تعتمد على النفط كمصدر أساس، وحين أنخفض الطلب العالمي على النفط بسبب الجائحة، انخفضت الأسعار بشكل غير مسبوق ووصل سعر النفط إلى أقل من (20$) للبرميل الواحد، كما أن الجائحة أثرت على المستوى المعيشي للفرد العراقي عبر ارتفاع المواد الغذائية وانخفاض قيمة العملة نتيجة الحظر الشامل التي فرضتها الدولة، وبالتالي ارتفعت نسبة (الفقر والبطالة) في المجتمع.

الخاتمـــة:

1. فيروس كورونا المستجد هو نوع من الفيروسات الجديدة مجهول السبب، ظهر في مدينة ووهان الصينية في أواخر العام 2019م، وفي 8 شباط من عام 2020م أطلقت لجنة الصحة الوطنية في جمهورية الصين الشعبية تسمية (فيروس كورونا المستجد أو الجديد) ثم غيرت في 22 شباط من نفس الشهر الاسم إلى (COVID-19)، قبل أن تعتمد هذه التسمية رسمياً من قبل منظمة الصحة العالمية في 11 شباط/ فبراير2020م، وأن الفيروس انتشر في جميع دول العالم، مما ترتب على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي الأمر الذي أدى إلى فقدان الملايين الوظائف في القطاعيين العام والخاص، فضلاً عن إصابة أغلب سكان العالم بحالة من الرعب، إذ اجبرتهم السلطات المعنية في كل دولة على البقاء في منازلهم، ومنع التجوال إلا للضرورة القصوى عن طريق فرض الحجر الصحي المنزلي عليهم.

2. أن أول أصابه حدثت في العراق في يوم 24 شباط عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، وبعد هذا اليوم أعلنت الحكومة العراقية دخول العراق فعليا في دائرة تفشي فيروس كورونا في

أغلب المحافظات، وأعلنت الحكومة تشكيل خلية أزمة، مهمتها اتخاذ القرارات لاحتواء الفيروس، فاتخذت جملة من القرارات كل أسبوع، ومن تلك القرارات فرض حظر التجوال الشامل وتعطيل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وبالرغم من أهمية توصيات خلية الأزمة لتطويق انتشار فيروس كورونا، إلا أنها لم تراع التداعيات الاقتصادية لحظر التجوال وما قد تخلفه من اضرار على الطبقة العمال والكسبة والعوائل الفقيرة التي تحصل على قوتها بشكل يومي عبر العمل في مهن ذات طبيعة يومية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع في نسبة الفقر والبطالة.

3. يعد الاقتصاد العراقي بأنه اقتصاد ريعي يعتمد على النفط بنسبة كبيرة في ناتجها المحلي الإجمالي، وبالتالي فأن انخفاض المورد الوحيد الذي يعتمد عليه سيؤثر على المجتمع، وهذا ما حدث نتيجة انخفاض الطلب العالمي على النفط انخفضت الأسعار الأمر الذي أدى إلى عجز مالي في ميزانية الدولة، ويعد انخفاض أسعار النفط هو أحد آثار فيروس كورونا، وبالتالي قد انخفض قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي، كما ارتفعت أسعار المواد الغذائية نتيجة اعتماد العراق على دول الجوار من سدة حاجاته من المواد الغذائية.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب

1 - التجاني عبدالقادر حامد وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز أبن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، الدوحة، 2020.

2 - تساو تشاو لونغ، دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فيروس كوفيد19-، ترجمة ونشر الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2020.

3 - فونغ هوي، ترجمة: كلية المهن هانان الأعمال الدولية، دليل الوقاية من فيروس كورونا المستجد، المستقبل الرقمي، الصين، 2020.

ثانيا: البحوث والدراسات

1 - أحمد محمود الكرطاني وآخرون، آثار جائحة كورونا في العراق وتداعياتها الأمنية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

2 - عباس حسين فياض عبد الله، الجوائح العائمة في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

3 - عبدالكريم عبدالجليل الوزان، دور الحكومة العراقية والإعلام العراقي في معالجة أزمة جائحة كورونا، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

4 - مايح شبيب الشمري، تشخيص المرض الهولندي ومقومات إصلاح الاقتصاد الريعي في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الكوفة، النجف، العدد15، 2010.

5 - حسين عجلان حسن، تنويع قدرات الاقتصاد العراقي في ظل الهيمنة الريعية الواقع الراهن والحسابات المستقبلية، مجلة المنصور، كلية المنصور الجامعة، بغداد، العدد27، 2017.

6 - لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، ريعية الاقتصاد العراقي وضرورات تنويع مصادر الدخل بعد عام 2003، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد108، 2016.

7 - كريم عبيس العزاوي، واقع القطاع الخاص العراقي وسبل النهوض به، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، جامعة بابل، بابل، العدد1، 2009.

8 - عبد الحسين سعيد نصر الله، تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق عام 2020، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8حزيران2020.

9 - عماد جاسم حسن، آثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

10 - عمرو هاشم محمد، الاقتصاد العراقي بين جائحتين: والتداعيات الاقتصادية لفايروس كورونا المستجد، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8حزيران2020.

ثالثاً: التقارير

1 - جميع الاحصائيات واردة من جامعة جونز هوبكنز(JHU) بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في اوروبا ومنظمات الصحة المحلية.

2 - علي مرزا، العراق: الواقع والآفاق الاقتصادية، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30 آذار- 1نيسان2013.

3 - كامل العضاض، هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية، عوائق أمام تحقيق تنمية مستدامة، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار1-نيسان2013.

4 - عبدالرحمن نجم المشهداني، اقتصاد العراق بين أزمة كورونا وانهيار اسعار النفط العالمية وتأثيراتها على الموازنة الاتحادية2020، مركز صنه السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، 3 أبريل2020.

رابعاً: الصحف

1 - ماجد السامرائي، العراق.. السياسيون أخطر من كورونا، صحيفة العرب، لندن، العدد 11631، 2020/2/28.

خامساً: المواقع الالكترونية

1 - أحمد بريهي علي، عجز الموازنة الحكومية وتمويلها في العراق: عرض مبسط، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/23223 ، 25/5/2020.

2 - أحمد الدباغ، العراق.. كيف تدهور القطاع الخاص وهل يمكن إنعاشه؟، نون بوست، على الموقع الالكتروني https://www.noonpost.com/content/35249, 15/12/2019.

3 - جميل عودة إبراهيم، الآثار الاقتصادية لفرض حظر التجوال، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/rights/22987، 25/4/2020.

4 - حامد عبدالحسين الجبوري، إدارة اقتصاد العراق بين المركزية واللامركزية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/22974، 23/4/2020.

5 - حامد عبدالحسين الجبوري، كورونا في العراق: من التفاؤل إلى التشاؤم، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/23015، 27/4/2020.

6 - خالد عليوي العرداوي، كوفيد19 هل يدفع العراق نحو الهاوية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/22911، 18/4/2020.

7 - سها جادو، كورونا تدفع بعراقيين أنهكهم الصراع في براثن الفقر، رويترز، على الموقع الالكتروني https://ara.reuters.com/article/idARAKBN22I1FO، 6/5/2020.

8 - الصحة العالمية: حكومة العراق تنفق على الرعايا الصحية أقل من دول فقيرة كثيرا، روداو، على الموقع الالكتروني: https://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/030320208، 3/3/2020.

9 - العراق وخطر تفشي وبـاء فيروس كورونا: التدابير والتداعيات والسيناريوهات، مركز الامـارات للسياسات، على الموقع الالكتروني، https://epc.ae/ar/topic/iraq-and-risk-of-spread-of-coronavirus-pandemic-measures-consequenc-es-and-scenarios 24/3/2020.

10 - لماذا سمي فيروس كورونا بـ«كوفيد 19» وماذا يعني؟، العربية CNN، على الموقع الالكتروني https://arabic.cnn.com/health/article/2020/02/28/covid-19-corona-vi-rus-meaning، 22/2/2020.

11 - وزارة الصحة العراقية، الموقف الوبائي اليومي للإصابات المسجلة لفيروس كورونا المستجد في العراق، على الموقع الالكتروني https://moh.gov.iq/index.php?name=News&-file=article&sid=1545510/6/2020.